

مظاهر وأسباب الضعف اللغوي بين المتعلمين الطور النهائي أنموذجا

Manifestations and causes of linguistic weakness among learners in the final stage
as a model

أحمد داودي*

المعهد الوطني للبحث في التربية (الجزائر)

itfcdaudi@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/01/23

تاريخ الاستلام: 2023/03/06

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تناول ظاهرة الضعف اللغوي، والتي هي أساسا ضعف المتعلمين في أداء المهارات اللغوية للغة العربية واللغات الأجنبية والمتمثلة في الاستماع، التعبير، القراءة، الكتابة. كما ستبين الدراسة أسباب وعوامل الضعف اللغوي بين المتعلمين في الطور النهائي، كالعوامل التاريخية المتمثلة في الاستعمار، والتعددية اللغوية، وأسباب متصلة بالمتعلمين كعدم اقبالهم على القراءة والمطالعة المستمرت خارج المقرر الدراسي، وكذلك تأثير وسائل التواصل الاجتماعي التي يستعمل فيها روادها من المتعلمين مزيج من اللغات واللهجات والرموز، أو كما تسمى العربيزي، وستقترح الدراسة بعض التوصيات لعلاج الظاهرة.

الكلمات مفتاحية: الضعف، اللغوي، أسباب، تلاميذ، مرحلة ثانوية.

Abstract:

The study aims to address the phenomenon of linguistic weakness, which is mainly the learners' weakness in performing the language skills of Arabic and foreign languages represented in listening, expression, reading, and writing. The study will also show the causes and factors of linguistic weakness among learners in the final stage, such as historical factors represented by colonialism, multilingualism, and reasons related to learners such as their lack of interest in continuous reading and reading outside the course, as well as the impact of social media in which learners use a mixture of languages and dialects. And symbols, or as they are called Arabizi, and the study will suggest some recommendations to treat the phenomenon.

Keywords: Weakness, linguistic, causes, students, secondary stage.

* المؤلف المرسل: أحمد داودي.

1. مقدمة:

اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالتعامل الإيجابي أو السلبي الذي تحظى به من أفراد المجتمع السائدة فيه، فتتطور أو تتخلف وتندثر، ذلك أنها أساس التواصل ووسيلة الإنسان للتعبير عن أفكاره.

يتم التواصل وتبادل الأفكار عن طريق اللغة، ويرتكز هذا التبادل على قواعد لغوية وأخرى غير لغوية (العادات، التقاليد، والأعراف) كما يركز التواصل على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويسعى التواصل إلى تحقيق أهداف معينة ترتبط بجملة من المقاصد، وعناصر التواصل هي نفسها عناصر دورة التخاطب المرسل المستقبل الرسالة وقناة الاتصال مضافا إليها السياق أو ما يعرف بالوضعية الخطابية (صحرة، 2020).

ويعدّ التعليم من أهم ما يعوّل عليه في التمكين للغة في محيطها وبين أبنائها، ووسيلة نشر العلوم وتنمية المعارف وتحصيلها، ولا شك أن المنظومة التربوية في الجزائر كغيرها من المنظومات تسعى إلى تمكين التلاميذ من المهارات اللغوية عن طريق اعتماد المقاربات الحديثة التي تسير التغيرات المتسارعة في شتى الميادين.

وإنّ المطلّع المتفحص في الواقع التعليمي الفعلي يلاحظ تفاوتاً بين ما تحاول المدرسة الجزائرية تحقيقه من أهداف، وبين التحصيل اللغوي للتلاميذ، وعليه يغدو من الضروري البحث في الأسباب التي أدت إلى ضعف المستوى اللغوي والسبل التي تسهم في زيادة الدافعية والرغبة في التعلّم.

ومن هذا المنطلق فإن الهدف من هذا البحث هو الاستقصاء عن أهم ما يؤثّر في تدني مستوى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي اعتماداً على إشكالية تمثّلت في: ما معنى الضعف اللغوي ومظاهره وأسبابه؟ وما طرق علاجه؟

2. مظاهر الضعف اللغوي:

يعتبر الضعف اللغوي من الظواهر القديمة والمتجددة في مظاهرها، التي يمكن رصدها في الاستعمالات اللغوية، منها ما يكمن في مهارة الكتابة إذ تجد من المتعلمين من يرتكب الأخطاء الإملائية والنحوية والصرفية، ومنها ما يتعلّق بالتداول والتواصل بتلك اللغة وهو ما يمثّل مهارتي القراءة والكلام وهما نتيجتان لضعف مهارة الاستماع التي تمكّن من تحليل الكلام وتفكيكه وتركيبه، والمقصود بالمهارة هنا أنها "الحذق بالشيء، والماهر الحاذق بكل عمل أو أكثر، ما يوصف به السابح المجيد" (الدين، 2000).

فكل من تمكّن من عمل ما وبرع فيه وأتقنه فهو ماهر، أمّا المهارة اللغوية فهي: "مهارة الفرد في استقبال اللغة وإرسالها وترتبط بالطلاقة والمرونة معاً" (الباري، 2011). وهو ما يفسّر ارتباط مظاهر الضعف اللغوي بعدم تمكّن التلميذ منها، وهي أربع مهارات نوردتها كالآتي:

1.2. مهارة الاستماع:

إنّ الاستماع هو أوّل ما يتعلّمه التلميذ، إذ يمكنه من التعرّف على الأصوات والكلمات والتراكيب، فيحلّلها ويفكّكها ثم يفهمها ويدركها، وهو الركيزة الأساسية في التعلّم والاكْتساب ذلك أنه أوّل ما يعتمد عليه الطّفل بعد الولادة في تمييز الأصوات المحيطة به، وتعتبر مهارة الاستماع أساس استيعاب وتحصيل التلميذ، فأحياناً يتأخّر التلميذ في التحصيل الدّراسي ليس بسبب نقص في الذكاء، بل لأنه لا يفهم ولا يستوعب بوضوح، فهناك ارتباط قوي بين تطور مهارة الاستماع وضعف السمع، وبين قلة الاستيعاب والتحصيل الدّراسي لدى التلميذ (الباري، 2011).

مهارة الاستماع مهمة في تعلّم اللغة واكتساب المعارف وإدراكها، فالعملية التعليمية ينبغي أن تُبنى ركائزها على تعليم التلاميذ مهارة الاستماع قبل القراءة والكلام، وحسن الإنصات من حسن التعلّم، أمّا التعلّم الذي يبنى على الكلام والقراءة قبل الاستماع فهو تعلّم أبتّر يضرّ التلميذ ولا ينفعه، ولا مناص لمن يسعى إلى تعليم اللغة من أن يبدأ في التركيز على تعليم الاستماع.

2.2. مهارة الكلام أو التحدّث:

إنّ نجاح العملية التعليمية قائم على إدراك المعلّم لأهمية تفعيل التواصل بينه وبين التلميذ، ويعدّ الكلام من أهمّ المهارات التي تمكّن الباحث من رصد عيوب المتعلّم، سواء في النطق أو في استعمال الألفاظ لغير معانيها، فهو الوسيلة التي تكشف من خلالها مواطن الضعف اللغوي أو العكس، ذلك أن التلميذ يعبر عن أفكاره باستخدام اللغة وما توقّره له من مفردات ودلالات وأنظمة نحوية وصرفية وصوتية، ومن ذلك فإن أهمية التحدّث تكمن في:

- " وسيلة اتصال بين الفرد والجماعة، يستطيع إفهامهم ما يريد، ويفهم في الوقت نفسه ما يراد منه.
- يتيح فرص التدريب على المناقشة وإبداء الرأي وإقناع الآخرين، كما أنه وسيلة للكشف عن عيوب التعبير أو التفكير و يتيح فرصة معالجتها.
- يعوّد المتعلّم على المعالجة ويعوّده على المواقف الخطائية.
- تمنح مهارة التحدّث المتعلّم فرصة تبين قدراته، والتعبير عمّا يريد " (التميمي و يعقوب، 2015).
- إنّ وعي المعلّمين بضرورة منح التلاميذ الفرصة للتحدّث باللغة، وتصحيح أخطائهم في المراحل التعليمية الأولى يسهم في بلورة معارفهم اللغوية حتى لا تستمر هذه الأخطاء في المراحل الأخرى.

3.2. مهارة القراءة:

لئن كان الاستماع والكلام عنصرين أساسيين في تعلّم اللغة، فإن القراءة لا تقل أهمية عنهما، ذلك أنّها توسّع مدراك التلميذ وتزيد من مكتسباته اللغوية، كما أنّها تسهم في إثراء رصيده من الكلمات، وهي الأخرى تمكّن من كشف مواطن الضعف اللغوي، إذ تتضمّن القراءة "عمليات معرفية فرعية، تقتضي أموراً شتى مثل: فهم المفردات والمقاطع، والتركيب اللغوي وفهم الجمل وتوجيهات الكاتب، فالاستيعاب ليس أمراً سهلاً وسريعاً دائماً" (مصلح، 2016).

إنّ تمكين التلاميذ من قراءة النصوص داخل القسم يسهم في معرفة مختلف الأخطاء النحوية والصرفية، وكذا القدرة على الفهم والتركيز، دون إغفال أهمية المطالعة التي تكسبه ثروة لغوية ومعرفية هائلة.

4.2. مهارة الكتابة:

تعدّ الكتابة نتيجة لكلّ المهارات السابقة الذكر، إذ تعبّر عن تجسيد كل ما تعلّمه التلميذ واكتسبه من معارف لغوية ونحوية وصرفية وتركيبية ودلالية، فهي "عملية فكرية لغوية إنتاجية إبداعية، تقوم على عنصري الفكرة والصياغة، وهي عملية مركبة ومعقدة وليست آلية مثلما يتصورها البعض، فهي عملية بناء وتكوين وصياغة أفكار، يسترجع فيها الكاتب عواطفه، وينتقي الكلمات والجمل، فضلاً عن مهاراته في الخط الجميل والمهجاء السليم ودقة في الاستعمال وعلامات التقييم، أيّ أنّها عبارة عن عملية معقدة تقوم على التعبير عما يحول في خاطر الإنسان من أفكار وأحاسيس وعواطف" (الدليمي، 2009).

ويترجم التلميذ عن طريق الكتابة كل الأفكار والمفردات والمعارف اللغوية المناسبة في التعبير عن الموضوع الذي يكتب عنه، وبذلك تبرز قدرته على التمييز بين الحروف ومعاني الكلمات والربط بينها بعلاقات نحوية وصرفية وتركيبية تعكس مدى تمكنه من نظام اللغة.

إنّ معرفة مواضع الضعف اللغوي عند التلاميذ، يدفعنا بالضرورة إلى دراسة المهارات اللغوية لتواجد علاقة وطيدة بينهما، حيث أنّ التقصير في تعلّم أيّ منها يؤدي حتماً إلى عدم التمكن من اللغة ممّا ينعكس سلباً على العملية التعليمية ككل.

و"لا بدّ للوعي بما نعاني من ضعف لغوي الأخذ بمبدأ التصنيف للأخطاء الشائعة التي انقسمت إلى قسمين كبيرين: الأوّل يتمثل في الألفاظ، الثاني يتمثل في التركيب... وقد لاحظ الباحثون أنّ ثمة ظاهرات أربع لهذه الأخطاء وهي: الضبط بالشكل، والصيغة الصرفية، واستخدام اللغة على غير معناها، أو استخدام ألفاظ لا وجود لها في اللغة" (الشنطي، 1414).

وترتبط الأخطاء التركيبية بالجانب النحوي واختيار العبارات لغير دلالاتها، أو باختيار الأسلوب المناسب. إنّ هذه الأخطاء تثير قلقاً عند المهتمين بالتربية والتعليم، فرغم توسّع الدراسات في هذا الباب، وانتهاج المقاربات الحديثة وتسخير مختلف الوسائل التعليمية الحديثة، إلّا أنّها تعرف تزايداً يستدعي بذل كثير من الجهد لحلّ المشكلات المتعلقة بها، وإنّ " الظاهرة الخطيرة لأزمنتنا اللغوية هي أنّ الطالب كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية زاد جهلاً بها ونفوراً منها وصدوداً عنها وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط فيتخرّج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويعيبه مع ذلك أن يملك هذه اللغة" (الشاطي، 1969)، وسنعرض فيما يأتي بعض أسباب الضعف اللغوي عند التلاميذ.

3. أسباب الضعف اللغوي عند تلاميذ المرحلة الثانوية:

إنّ البحث في الأسباب التي تؤثر في التحصيل اللغوي عند تلاميذ المرحلة الثانوية يقودنا إلى البحث عنها في كلّ الأطوار التعليمية، فالمرحلة الثانوية هي الأخيرة في التدرّج التعليمي وهي نتاج ما تعلمه في المرحلة الابتدائية والمتوسطة، وبعضها تاريخي وآخر يتعلّق بالمجتمع والتلميذ ذاته.

1.3. الاستعمار بأشكاله:

إنّ تبعات الاستعمار وما خلفه من طمس للهوية الجزائرية لا يزال إلى يومنا هذا، إذ حاول فرض لغته على الجزائريين بشتي الطّرق، فاللغة الفرنسية تنافس العربية في عدّة ميادين " وهي تستوعب ليس فحسب العمل الفكري بل الاتجاهات العادية في الحياة اليومية" (نبي، 1980).

وهو ما أدّى إلى ظهور "مجتمعين متراكبين يتحدثان بلغتين مختلفتين"، وهو ما يؤثّر في التلميذ الذي يتحدث والداه بالفرنسية بعد دخوله للمدرسة، إذ يتلقّى علومه باللغة العربية التي ستصبح لغة ثانية لم يكتسبها من محيطه على أنّها لغته الأم.

2.3. الهوية اللغوية:

إنّ اعتزاز الفرد بلغته يزيد من رغبته في تعلمها وإتقانها، والسعي إلى تطويرها، إلّا أن الصراع اللغوي الموجود في المجتمع الجزائري نتيجة الاستعمار لا يزال يؤثّر سلباً في الأفراد، ويعرّف علماء الاجتماع مصطلح الهوية بأنها "وعي الإنسان بانتمائه إلى مجتمع أو وطن أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام" (بركة، 2013).

ولا يختلف الشعور بالانتماء للغة عن الشعور للانتماء للوطن، فهي تعبّر عن السيادة الوطنية والاختلاف عن المجتمعات الأخرى وتوجهاتها الثقافية والدينية، ولا " يشكّ أحد في أهمية موضوع الهوية اللغوية في كل فهم علمي منهجي لوظائف اللغات، إذ نستطيع من خلال الخصائص التخاطبية التي تربط بين المتكلم والمخاطب قراءة الأصول الاجتماعية والجغرافية لشخص ما ينتمي إلى تلك المجموعة اللغوية وفهم مستواه التعليمي وعمره، أي تمكننا من معرفة جميع مجالات الهويات المصنّفة التي تعتمد في تصنيف الأشخاص " (بودرع، 2014).

وهذا ما لا يدركه الأفراد في المجتمع والتلاميذ في المدارس الجزائرية نتيجة الصراع الذي يعرفه المجتمع الجزائري بفعل التعدّد اللغوي.

3.3. التعدّد اللغوي:

إنّ التعدّد اللغوي الذي يعيشه التلميذ في المجتمع الجزائري يفرض عليه المزج بين كل الاستعمالات اللغوية التي تتمثّل في العربية والفرنسية والأمازيغية، وهو ما يطرح إشكالية اللغة الأم واللغة الوطنية ولغة التعليم واللهجات، وهو وضع تصفه (خولة طالب الإبراهيمي) "بالتعقيد والتركيب" (الإبراهيمي، 2007).

أمّا ظاهرة ازدواج اللغوي فتلقي بظلالها في الاستعمالات اللغوية اليومية سواء في المدرسة أو البيت أو في المحيط اللغوي، و"إنّ الفكرة القائلة بالازدواجيّة اللّسانية تعني وجود لسانين لهما نفس الحكم هي فكرة على درجة من الانتشار والرّسوخ" (مارتيني، دون سنة).

إلا أنّ هذا المفهوم لا ينطبق انطباقاً تاماً على ما يستعمله الفرد الجزائري الذي يلجأ إلى المزج بين المفردات العربية والفرنسية وإضافة اللواحق والسوابق التي تؤدّي إلى ظهور عبارات جديدة لا هي عربية ولا هي فرنسية وإنما مزيج بينهما.

بالإضافة إلى الثنائية اللغوية بين اللهجات واللغة العربية خاصة في التدريس، إذ أن لجوء المعلم لاستخدام اللهجة في القسم الدّراسي يؤثّر في تعلم التلميذ للغة العربية التي تعد اللغة الخاصة بالتعليم في المدرسة الجزائرية، وهو من الأسباب الرئيسة التي تسهم في بروز الضعف اللغوي.

4.3. أسباب تتعلق بالتلميذ:

لئن ارتبط الضعف اللغوي بأسباب خارجية يعرفها المجتمع الجزائري ككل، إلا أن ابتعاد التلميذ عن المطالعة أسهم بشكل كبير في ضعف رصيده اللغوي، إذ "تمكّنه من تكوين العادات الأساسية في القراءة مثل التعرّف والنطق والفهم، والتمكّن من تكوين رصيد من المفردات والتركيب اللغوية، التي تعين القارئ الجيّد على التعبير المفيد عمّا يريد، واكتساب مهارة التعبير الصحيح المنظم المترابط الذي لا يتأتى للإنسان إلا من خلال القراءة المتنوعة" (الباري، مهارات الاستماع النشط، 2011).

كما تجدر الإشارة إلى التسيّب والإهمال المنتشر وسط التلاميذ وعدم اهتمامهم بالدّرس اللغوي والتعليمي بصفة عامة، وهو ما يعبر عن غياب الدّافعية والرغبة في التعلّم.

5.3. مواقع التواصل الاجتماعي الحديثة:

لا يخفى عنّا أنّ لمواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتر والواتساب... لها تأثير بليغ في ظهور الانحراف اللغوي، وهو أن يعمد الفرد إلى استعمال كلمات دخيلة عن لغته فيغير في طريقة كتابتها وفي معناها، فتجده يكتب اللفظ بحروف لاتينية لمعنى عربي، وهو ما يؤثر سلبا في التواصل باللغة الأم أو بلغة المدرسة، كما يؤثر في استعمال التلميذ للغات الأجنبية فلا هو يتقنها ولا هو يتقن اللغة العربية، ذلك أن اللغة يحكمها الاستعمال.

4. خاتمة:

إن الضعف اللغوي هو عدم تمكن المتعلم من المهارات اللغوية الخمسة الاستماع، التعبير، القراءة، الكتابة، التفكير وهو نتاج عدّة عوامل لا يمكن حصرها في العملية التعليمية التعلمية، فهناك أسباب تاريخية تتمثل في الاستعمار وسياسته التجهيلية التي لازال المجتمع الجزائري يعاني من تبعاتها إلى يومنا هذا.

بالإضافة على ظاهرة التعدد اللغوي فالجزائر بالإضافة إلى اللغتين الوطنيتين ورثت من الاستعمار اللغة الفرنسية، ومن مظاهر الضعف اللغوي الخلط في الاستعمال بين الفرنسية والعربية، والخلل من استعمال العربية في مواقع كثيرة، ما يجعل الفرد يخلط في استعمال اللغتين وهي من مظاهر الضعف اللغوي.

كذلك هناك أسباب تتعلق بالتلاميذ فهم لا يقبلون على استعمال اللغات الفصيحة بشكل مستمر بل يستحون من ذلك، لا يطالعون ولا يقرون خارج المقررات، واقبالهم على استعمال وسائل التواصل وبلغة هجين أو كما تسمى العريزي.

يحاول القائمين على شؤون المدرسة الجزائرية القضاء على هذه الظاهرة أو التخفيف منها بتسخير مختلف الوسائل التعليمية واتّباع المقاربات الحديثة، وفيما يأتي بعض الاقتراحات التي تعالج ظاهرة الضعف اللغوي منها:

- التركيز على تعليم التلاميذ لمهارة الاستماع واختبار نسبة تركيزهم عن طريق أسئلة مختارة.
- التركيز على تعليم مختلف المهارات الأخرى مثل القراءة والكلام والكتابة في السنوات الأولى من التعليم لأنها أساس العملية التعليمية ككل.
- تعزيز الرغبة لدى التلاميذ للإقبال على التعلم باستخدام الوسائل التكنولوجية والتقليل من الاعتماد الكلي على الوسائل التقليدية، فإنّ الحاجة إلى تطوير العمليّة التعليميّة باتت تفرض على المختصين

الاستعانة بالوسائل الحديثة ومسايرة التطور التكنولوجي الهائل في كلّ الميادين، فلم يعد التعليم التقليدي قادرا على استيعاب متطلبات العصر الحالي، لذلك فإنّ المنظومات التربوية في العالم الحديث تتوجه إلى ما يسمّى بالتعليم المدمج والذي يعدّ من أهم إنجازات تكنولوجيا التعليم التي تعمل على تيسير وتنشيط العملية التعلّمية.

- دراسة الخصائص اللغوية التي يتميز بها المجتمع الجزائري واتباع مناهج تعليمية تتماشى مع تركيبته.
- تعزيز الانتماء عند التلميذ الجزائري وزيادة اعتزازه بلغته ومكانتها بين اللغات.

5. قائمة المراجع:

1. ابن منظور جمال الدين. (2000). لسان العرب. لبنان: دار صادر.
2. أندري مارتيني. (دون سنة). مبادئ في اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير. دار الآفاق: الجزائر.
3. بسام بركة. (2013). اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
4. خولة طالب الابراهيمي. (2007). الجزائريون والمسألة اللغوية، تر: محمد يحياتن. الجزائر: دار الحكمة.
5. دحمان صحرة. (2020). الكفاية الاستراتيجية والتعليم التواصلي للغة العربية. حوليات جامعة الجزائر 1، 801-818.
6. رافد صباح التميمي، وبلال عبد الله يعقوب. (2015). المهارات اللغوية ودورها في التواصل اللغوي. مجلة مداد الأدب (11)، 266-288.
7. طه علي حسين الدليمي. (2009). تدريس اللغة العربية بين الطرائق التقليدية والاستراتيجيات التجديدية. عالم الكتب الحديثة: الأردن.
8. عائشة بنت الشاطئ. (1969). لغتنا والحياة. القاهرة: دار المعارف.
9. عبد الرحمان بودرع. (2014). في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي (قضايا ونماذج من الواقع المعاصر). المغرب: مطبعة الخليج العربي.
10. عمران أحمد علي مصلح. (2016). استراتيجية تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلم. مجلة المدينة العالمية، 16، 641-664.
11. مالك ابن نبي. (1980). مشكلات الحضارة. سوريا: دار الفكر.
12. ماهر شعبان عبد الباري. (2011). مهارات الاستماع النشط. الأردن: دار المسيرة للطباعة والنشر.
13. محمد صالح الشنطي. (1414). ظاهرة الضعف اللغوي. السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع.